تاريخ الجهمية والمعتزلة*

(١٧) بيان ان انقسام الناس الى التجهم يشبه انقسامهم الى التشيع وذلك ثلاث درجات

قال الامام ابن تيمية : ليس الناس في التجهم على مرتبة واحدة ، بل انقسامهم في التجهم يشبه انقسامهم في التشيع : فان التجهم والرفض هما أعظم البدع أو من أعظم البدع التي أحدثت في الاسلام ، ولهذا كان الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم انما يتسترون بهذين بالتجهم والتشيع ، وقد كان أمرهم اذ ذاك لم ينتشر ويتفرع ويظهر فساده كما ظهر فيما بعد ذلك

فان الرافضة القدماء لم يكونوا جهمية ، بل كانوا مثبتة للصفات ، وغالبهم يصرح بلفظ الجسم وغير ذلك ، كما قد ذكر الناس مقالاتهم ، كما ذكر أبو الحسن الاشعري وغيره في كتب المقالات

والجهمية لم يكونوا رافضة بل كان الاعتزال فاشيا فيهم ، والمعتزلة كانوا ضد الرافضة ، وهم الى النصب أقرب ، فان الاعتزال حدث من البصرة ، والرفض حدث من الكوفيين ، والتشيع كثر في الكوفة ، وأهل البصرة كانوا بالضد ، فلما كان بعد عهد زمن البخاري من عهد بني بويه ، فشا في الرافضة التجهم واكثر أصول المعتزلة ، وظهرت القرامطة ظهوراً كثيرا ، وجرى حوادث عظيمة

والقرامطة بنوا أمرهم على شيء من دين المجوس وشيء من دين

*) تابع لما نشر في ج ٩ م ١٦ ص ٧٠٣

الصابئة ، فأخذوا عن هؤلاء الاصلين النور والظلمة ، وعن هؤلاء العقل والنفس، ورتبوا لهم ديناً آخر ليس هو هذا ولا هذا ، وجعلوا على ظاهره من سيما الرافضة ما يظن الجهال به انهم رافضة ، وانما هم زنادقة منافقون، اختاروا ذلك لان الجهل والهوى في الرافضة اكثر منه في سائر أهل الاهواء

والشيعة هم ثلاث درجات (شرها الغالية) الذين يجعلون لعلي شيئا من الالهية أو يصفونه بالنبوة ، وكفر هؤلاء بين لكل مسلم يعرف الاسلام وكفرهم من جنس كفر النصارى من هذا الوجه

(والدرجة الثانية) وهم الرافضة المعروفون كالامامية وغيرهم الذين يعتقدون ان عليا هو الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنص جلي أو خفي ، أو انه ظلم ومنع حقه ، وينقصون أبا بكر وعمر ويشتمونهما ، وهذا هو عند الأئمة سيما الرافضة وهو بغض أبي بكر وعمر وسبهما

(والدرجة الثالثة المفضلة) من الزيدية وغيرهم الذين يفضلون عليا على أبي بكر وعمر ، ولكن يعتقدون امامتهما وعدالتهما ويتولونهما ، فهذه الدرجة وان كانت باطلة فقد نسب اليها طوائف من أهل الفقه والعبادة وليس أهلها قريبا ممن قبلهم ، بل هم الى أهل السنة أقرب منهم الى الرافضة ، لانهم ينازعون الرافضة في امامة الشيخين وعدلهما وموالاتهما، وينازعون أهل السنة في فضلهما على علي ، والنزاع الاول أعظم ، ولكن هم المرقاة التي تصعد منه الرافضة، فهم لهم باب

(وكذلك الجهمية على ثلاث درجات) (فشرها الغالية) الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وان سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا هو

مجاز ، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم ، ولا يتكلم ، وكذلك وصف العلماء حقيقة قولهم كما ذكره الامام أحمد فيما ذكره في الرد على الزنادقة والجهمية ، قال: فعند ذلك تبين للناس انهم لا يثبتون شيئاً ، ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية ، فاذا قيل لهم فمن تعبدون؟ قالوا نعبد من يدبر أمر هذا الخلق. فقلنا فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ، قالوا نعم ، قلنا قد عرف المسلمون انكم لا تثبتون شيئا ، انما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلنا لهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ، قالوا لم يتكلم ولا يتكلم ، لان الكلام لا يكون الا بجارحة ، والجوارح عن الله منتفية ، واذا سمع الجاهل قولهم يظن انهم من أشد الناس تعظيما لله ، ولا يعلم انهم انما يقودون بقولهم الى ضلال . وقال أبو الحسن الاشعري في كتاب المقالات والابانة : الذين نفوا صفات رب العالمين ، وقالوا انه لا علم له ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ، انما أخذوه عن اخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون ان العالم صانعا لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ، غير ان هؤلاء لم يستطيعوا ان يظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره ، فاظهروا معناه ، وقالوا ان الله عز وجل عالم قادر سميع بصير من طريق التسمية من غير ان تثبت له علما أو قدرة أو سمعا أو بصرا . وقد أفصح بذلك رجل يعرف بابن الاباري كان ينتحل قولهم ، فزعم ان الباري تعالى عالم قادر سميع بصير في المجاز لا في الحقيقة . وهذا القول وهو قول الغالية النفاة للاسماء حقيقة هو قول القرامطة الباطنية ، ومن سبقهم من اخوانهم الصابئة الفلاسفة

(والدرجة الثانية) من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته، وهم أيضاً لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة، بل يجعلون كثيراً منها على المجاز، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون

(والدرجة الثالثة) هم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية، لكن فيهم نوع من التجهم كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكن يردون طائفة من اسمائه وصفاته الخبرية وغير الخبرية ويتأولونها، كما تأول الاولون صفاته كلها. ومن هؤلاء من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام والفقه وطائفة من اهل الحديث (ومنهم) من يقر بالصفات الواردة في الاخبار أيضاً في الجملة، لكن مع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول، وذلك كابي محمد بن كلاب ومن اتبعه. وفي هذا القسم يدخل ابو الحسن الاشعري وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث والتصوف، وهؤلاء الى أهل السنة المحضة أقرب منهم الى الجهمية والرافضة والخوارج والقدرية، لكن انتسب اليهم طائفة هم الى الجهمية أقرب منهم الى أهل السنة المحضة، فان هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعا عظيما فيما يثبتونه من الصفات أعظم من منازعتهم لسائر أهل الاثبات فيما ينفونه

وأما المتأخرون فانهم والوا المعتزلة وقاربوهم أكثر، وقدموهم على أهل السنة والاثبات وخالفوا أوليهم (ومنهم) من يتقارب نفيه واثباته، وأكثر الناس يقولون إن هؤلاء يتناقضون فيما يجمعونه من النفي والاثبات اهـ[1]

(١) الكلام تتمة واسعة في التسمية فليراجعها المستزيد

البحث الثاني في المعتزلة

وفيه مطالب

(١) التعريف بالمعتزلة

هذه الفرقة — كفرقة أهل السنة والجماعة — من أعظم الفرق رجالا ، وأكثرها تابعاً ، فان شيعة العراق على الاطلاق معتزلة ، وكذلك شيعة الاقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية ، ومثلهم الزيدية في اليمن ، فانهم على مذهب المعتزلة في الاصول ، كما قاله العلامة المقبلي في العلم الشامخ ، وهؤلاء يعدون في المسلمين بالملايين ، بهذا يعلم أن الجهمية المعتزلة ليسوا في قلة ، فضلا عن أن يظن أنهم انقرضوا ، وأن لا فائدة للمناظرة معهم ، وقائل ذلك جاهل بعلم تقويم البلدان ومذاهب أهلها

أما البلاد المنتشر فيها مذهب السلف الاثرية خاصة في العقائد ، فهي بلاد نجد بتمامها ، فانها سلفية الاعتقاد ، لكن يغلب عليهم الجفاء والغلو . وفي بلاد الهند طوائف سلفية داعية الى مذهب السلف بنشر كتبه ودرسها . وفي العراق والحجاز والشام ومصر جماعات قليلة منهم يغلب عليهم الاعتدال

وأما السواد الاعظم من معظم البلاد الاسلامية فعلى مذهب الاشعري أعني ما يدعي انه مذهبه من تلك العقائد المبثوثة في كتب المتأخرين المتداولة ، والا فالاشعري قد صرح في كتابه الابانة (*) بانه

(*) طبع في الهند بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٢١

على مذهب الامام احمد في الاعتقاد تصريحاً لا شبهة فيه . ولا ادل على مذهب المرء وعقده من كلامه أو ما خطته يمينه ، وسنذكر في آخر البحث مادعا الى انتشار مذهب الاشعري فانتظر

* * *

(٢) سبب تلقيبهم بالمعتزلة

قال الامام عبد القادر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق : كان واصل ابن عطاء من منتابي مجلس الحسن البصري في زمان فتنة الازارقة ، وكان الناس يومئذ مختلفين في أصحاب الذنوب من أمة الاسلام على فرق : فرقة تزعم أن كل مرتكب لذنب صغير أو كبير مشرك بالله ، وهو قول الازارقة . وفرقة تزعم أن صاحب الذنب المجمع على تحريمه كافر مشرك . وفرقة تقول انه منافق ، وكان علماء التابعين في ذلك العصر مع أكثر الامة يقولون : إن صاحب الكبيرة من امة الاسلام مؤمن لما فيه من معرفته بالرسل وبالكتب المنزلة من الله تعالى ، ولمعرفته بان كل ماجاء من عند الله حق ، ولكنه فاسق بكبيرته ، وفسقه لا ينفي عنه اسم الايمان والاسلام فلما ظهرت فتنة الازارقة بالبصرة والاهواز ، واختلف الناس في أصحاب الذنوب على ما ذكرنا خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة ، وزعم أن الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر ، وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والايمان ، فلما سمع الحسن البصري من واصل بدعته هذه طرده عن مجلسه فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة وانضم اليه صديقه عمرو بن عبيد ، فقال الناس يومئذ فيهما انهما قد اعتزلا قول الامة ، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة ،

ثم انهما اظهرا قولهما في المنزلة بين المنزلتين ، وضما اليها دعوة الناس الى قول القدرية على رأي معبد الجهني اه ملخصاً

وذكر ابن خلكان في ترجمة قتادة البصري - أحد كبار علماء التابعين - أن قتادة دخل مرة مسجد البصرة فاذا بعمرو بن عبيد وغرمه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت اصواتهم ، فاتهم وهو يظن انها حلقة الحسن ، فلما صار معهم عرف انها ليست هي فقال : انما هؤلاء المعتزلة ثم قام عنهم اه

* * *

(٣) تلقيب المعتزلة بالجهمية

علم مما اسلفنا من حياة جهم وفلسفته أن انتشار آراء جهم وشيوع مسائله بين أولي العلم ولهج الناس بها كان سبق العصر الذي ظهرت فيه المعتزلة ، الا انه سبق قريب ، فان هذه الفرق والنحل الاسلامية كانت تترى يأتي بعضها إثر بعض ، وربما تعاصرت ، وقد يتصل بعضها بنباهة بعض ، أو تندغم احداها في الاخرى ، لما يجمعهما من القول بمسائل تتفقان عليها ، ومن ذلك المعتزلة مع الجهمية ، فان المعتزلة اخذت عن الجهمية القول بنفي الرؤية والصفات وخلق الكلام ووافقتها عليها ، وان كان لكل فروع واختيارات غير ما للأخرى ، الا ان ما توافقوا فيه من هذه المسائل الكبيرة جعلهم كأهل المذهب الواحد ، فلذلك اطلق ائمة الاثر لفظ الجهمية على المعتزلة ، فالامام احمد في كتابه الرد على الجهمية ، والبخاري في الرد على الجهمية ومن بعدهم انما يعنون بالجهمية فيه المعتزلة ، لأنهم كانوا في المتأخرين اشهر بهذه المسائل من الجهمية ، ولكن كان غرض

المتقدمين بالرد والمناقشة الجهمية، لانها الأم لغيرها، والسابقة على سواها في الظهور، بل هي اول فئة ظهرت في الاسلام بمذهب التأويل، وقام حزبها بالدعوة الى مذهبها في ريعان الدولة الأموية كما تقدم، فلذا غلب عند السلف اسمها على غيرها ممن قاربها وتاقى عنها

بما ذكرناه يزول الاشكال والاشتباه الذي يراه بعضهم من ذكر الجهمية في تلك المسائل، مع انها في عرفهم ومايدرسونه في كتب الكلام المتأخرة مضافة الى المعتزلة . وحاصل دفع الاشكال ان تلقيبهم بالجهمية إنما كان لما وجد من موافقتهم للجهمية في تلك المسائل مع مراعاة سبقهم فيها على المعتزلة، وتمهيدهم السبيل للتوسع فيها فاحفظه

قال الامام ابن تيمية في منهاج السنة [1]: لما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في اوائل المائة الثالثة على عهد المأمون واخيه المعتصم ثم الواثق، ودعوا الناس الى التجهم وابطال صفات الله تعالى، وطلبوا أهل السنة للمناظرة، لم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط، بل كانت مع جنس الجهمية من المعتزلة والنجارية والضرارية وانواع المرجئة، فكل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزليا، لكن جهم اشد تعطيلا، لأنه ينفي الاسماء والصفات . وبشر المريسي كان من المرجئة ولم يكن من المعتزلة، بل كان من كبار الجهمية اه

(١) جزء (١) صفحة (٢٥٦)

(لها بقية)